نص: عقبى الوغى ندمو – أبو الطيب المتنبي

النّص:

قال المتنبّي يمدح سيْف الدّولة:

عقبى* اليمين على عقبى الوغى ندمُ ***** ماذا يزيـدك في إقدامك القسـمُ
وفي اليمـــين على ما أنت واعـدهُ ***** مـــا دل أنّك في الميعاد متهـــمُ
آلي* الفتى ابـــن شمشقيقٍ* فأحنثـه ***** فتى من الضرب ينسى عنده الكلمُ
والشمس يعنـــون إلا أنـهم جهلوا ***** والمـــوت يدعون إلا أنهم وهمـوا
فلم تتم ســـروج* فـــتح ناظرها ***** إلا وجـــيشك في جفنيـه مزدحمُ
جـيش كأنـك فـي ارضٍ تطاولهُ ***** فالأرض لا أمـم والجيش لا أممُ
إذا مـــضى علم* منها بدا علـمٌ ***** وإن مضى عـلم منـه بـدا علـمُ
فـما تركن بـها خلداً* له بصرٌ ***** تحـــت التـرابِ و لا بازا له قـدمُ
وجـاوزوا أرسناسا*معصمين بـه ***** وكيف يعصـمهم مـا ليس ينعصـمُ
وقد تمنوا غداة الدرب فـي لـجبٍ ***** أن يبصـروك فلما أبصروك عمـوا
فـــكان أثبت ما فيهم جسومـهم ***** يسقـتـطن حولك والأرواح تنهـزم

ديوان المتنبي طبعة دار الجيل ص 419 – 423

**** شرح المفردات:**

عقبي : العاقبة / آلي : ألقي القسم / ابن شمشقيق : بطريق الرّوم / سروج : بلد من بلاد الرّوم / علم : علم من الأرض يعني الجبل / أرسناسا : اسم نهر تمنّع وراءه جيش البطريق / لجب : اختلاط أصوات المحاربين.

**** حلّـّل النّص تحليلا أدبيّا مسترسلا مستعينا بالأسئلة التالية:**

- تبيّن أقسام المدحية استنادا إلي المعيار المناسب.
- ادرس طبيعة الإيقاع في هذه القصيدة وبيّن دوره في تكثيف النغم الحماسي.
- تشكّلت صورة الجيش من خلال أفعاله وأحواله اعتمادا على صور فنيّة تبيّنها

وابرز دورها في الرّفع من شأن الممدوح.

- استخلص من القصيدة المعاني المدحية ذات البعد الحماسي.

المقدمة:

- التمهيد: يمكن تأطير النص من خلال أربعة مداخل متمايزة وهي في علاقة بالنص:

1 -ربط النص بالكاتب : المتنبي شاهد على عصر مل يئ بالحروب وقد واكب بعضها لحظة التقائه بسيف الدولة ومصاحبته إياه في بعض غزواته، فسجل ما رأى وعاين بعين فنان لا عين المؤرخ..

2 -ربط النص بالديوان: سيفيات المتنبي احتفاء ببطولات سيف الدولة الحمداني واحتفال بنموذج الفتوة الذي مثله ذودا عن المجد العربي وآخر ثغوره بمدينة حلب التي كانت مطمع الغزاة من الروم وقد امتدت العلاقة بين أمير السنان والبيان تسع سنوات...

3 -ربط النص بالغرض :غرض المدح من الأغراض الأصيلة في مدونة المتنبي التي امتزجت بها معاني الحماسة إشادة بالبطولات الحربية لسيف الدولة ..

4 -ربط النص بالعصر : مثل القرن الرابع للهجرة في العصر العباسي عصرا حافلا بالحروب التي خاضها العرب في مواجهة الخطر البيزنطي، ولقد مثل سيف الدولة النموذج البطولي الذي احتفى به أبو الطيب المتنبي شاهدا على فتوته وبطولته...

- التقديم المادي: هذا النص ميمية مدحية ذات بعد حماسي ، وقد نسجها المتنبي على بحر البسيط وتفعيلاته مستفعلن فعولن وهو من السيفيات التي أنشأها مادحا لسيف الدولة الحمداني أمير حلب ، واقتطف من ديوان أبي الطيب من الصفحة التاسعة عشرة وأربعمائة إلى الصفحة الثالثة والعشرين وأربعمائة.
- الموضوع: مدح المتنبي لسيف الدولة الحمداني بمناسبة انتصاره على الروم في معركة الدرب وهجائه للبطريق الحانث في قسمه ، وقد عاهد ملكه على مواجهة الأمير العربي فخاب توقعه.
- المقاطع: وفق المعاني الشعرية:
- م1: ب1ـــــ ب4: هجاء الروم وبطريقهم.
- م2: ب5ـــــ ب 9: تصوير جيش سيف الدولة وأطوار المعركة.
- م3: ب 10+11 : تمازج الهجاء والمدح.
- الإشكالية: فما الخصائص الفنية في هذه القصيدة إيقاعا وصورة؟
- وما أبرز المعاني المدحية الحماسية فيها؟
- وما وظائف الحماسة في هذه المدحية؟

الجوهر: م1: الهجـاء:

*الإيقاع الخارجي: بحر البسيط: مستفعلن فاعلن فعولن 4 مرات: بحر مزدوج التفعيلة +كثافة المقاطع الطويلة.

ـــــ من البحور الرسمية الرصينة التي اصطفاها المتنبي لتنظم انتظاما يحاكي نظام الجيوش فريقا يتلوه فريق، ويحكي جلبة المعركة وضجيجها قعقعة و صليلا.

الروي: الميم المضمومة: حرف خيشومي فيه غنة : صوت دمدمة وغمغمة تشي بتوهج المعركة قوّة وشدّة من قبل الممدوح وضعفا وجبنا من جهة البطريق.

*الإيقاع الداخلي: التصريع: ندم- القسم: سنة شعرية تدعم موسيقى المطلع إثراء لصوت الدمدمة ، وهي علامة افتتاح وسبيل انشراح ومطية نجاح المدحية.

ـــــ استهلال موسيقي يشيع أجواء الحماسة طربا لانتصار الممدوح وتشفيا من هزيمة البطريق وحنثه في يمينه.

الجناس التام: عقبى/عقبى (تشابه اللفظين في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها واختلافهما في المعنى).

التكرار: اليمين (ب1- ب2) (تعاود الكلمة لفظا ومعنى).

التماثل التركيبي: ما أنت – ما دلّ (ب2)

الترديد الصوتي: الفتى – فتى (ب3) (تشابه اللفظ واختلاف الإحالة)
الموازنة : والشمس- والموت (ب4)
ـــــ تزاوج الإيقاعين الخارجي والداخلي في تشكيل ملحمة حماسية أو حماسة ملحمية تناسب فرحة الانتصار وبهجة التشفي من زيف ادعاء بطريق الروم الذي حنث .
ثنائية الخبر والإنشاء:
-الخبر الابتدائي: تواتر سجلات اليمين (اليمين-القسم- وعد- ميعاد- آلى-حنث).
ـــــ تحقق اللغة وظيفة مرجعية إخبارا بما قبل واقعة الدرب حيث وعد البطريق بالانتصار على سيف الدولة مقسما على ذلك أمام ملكه فأخلف وعده وحنث في يمينه بسبب فتوة سيف الدولة وقوته.
- الإنشاء الطلبي:الاستفهام الإنكاري: "ماذا يزيدك" خطاب مباشر يحقق وظيفة خطابية وتأثيرية تحقيرا لبطريق الروم وتشفيا من هزيمته النكراء في واقعة الدرب.
ـــــ للحماسة وظيفة تسجيلية رصدا لأطوار الواقعة من لحظة الوعيد إلى لحظة خيبة الانتظار والتوقع ووظيفة جمالية تحوّل الحدث التاريخي حدثا نصيا وواقعة شعرية تقع في منطقة وسطى بين الواقع واللاواقع. وقد قال ابن الأثير عن حماسة المتنبي " إذا خاض في وصف معركة كا ن لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها"
ـــــ في المقطع الأول صراع بالقول بين يمين البطريق الكاذب وما خطت يمين المتنبي الصادق وصراع بالفعل بين الفتى الرومي المهزوم والفتى العربي المنتصر وتقابل بين الوهم والحقيقة والمعرفة والجهل والحياة والموت والشمس والظلام فيتحول الإيقاع عندئذ من المستوى الصوتي إلى المستوى الدلالي إغراقا في إثراء الأجواء الحماسية.
م2: صورة الجيش: تقوم الخطة الفنية للمتنبي على التدرج في الإحاطة بالواقعة الحربية من رصد أطراف المعركة وإطارها وأطوارها إلى الاحتفال بنتيجتها المحسومة لصالح الممدوح:
أ - أطراف المعركة: ابن شمشقيق : فتى رومي مهزوم (بطريق الروم الكاذب)
سيف الدولة: الفتى العربي المنتصر (الأمير الحلبي الصادق)
ـــــ صراع ديني بين إسلام وكفر وصراع قومي بين عرب وعجم يشحن الحمية الدينية والعروبية في النفوس.
ب -إطار المعركة: سروج- سمنين- أرسناسا : فضاء رومي امتد ساحة للمواجهة الحربية وقد رصده الشاعر من لحظة الانطلاق إلى لحظة الوصول ومن البدء إلى الختام.
ـــــ وظف الشاعر أسماء الأعلام للمكان وهي ذات قيمة إخبارية توثيقية تلح على أن الحدث واقعي تاريخي في الوقت الذي يحوله الشاعر إلى حدث شعري فني يتجاذبه قطبا المرئي والخيالي.
ج- أطوار المعركة: * لحظة الهجوم: تركيب الحصر" إلا وجيشك"
الاستعارة: "فتح ناظرها – في جفنيه مزدحم"
ـــــ مباغتة جيش سيف الدولة العرمرم ومهاجمته لجماعة الروم.
*لحظة المواجهة: التشبيه "كأنك في أرض"
النفي " لا أمم"
الترديد "أرض –فالأرض"
التكرار: علم
الموازنة: "إذا مضى-إن مضى."
التصدير : "معصمين-يعصمهم-ينعصم."
ـــــ صورة شعرية ذات إخراج فني مزيته تجويد العبا رة تحقيقا للوظيفة الشعرية انزياحا بالقول من مستوى الواقعة التاريخية إلى الواقعة الشعرية التي يتحول بمقتضاها الممدوح من كائن بشري إلى كيان شعري خيالي هو أقرب إلى الأسطورة منه إلى الواقع.

* أفعال الجيش: "فلم تتم...حتى وردن...وجاوزوا...":
ـــ سرد خ طي تتابعي يتبع حركة الجيش وأطوار الحرب من بداية معلومة إلى نهاية مرسومة نهوضا بالوظيفة المرجعية لشعر الحماسة فقد ضبط المتنبي من التفاصيل ما غفل عنه المؤرخون بل اتخذوه مرجعا مكينا لتأريخ الواقعة.
*أحوال الجيش: "جيشك مزدحم-جيش تطاوله-جيش لا أمم"
ـــــ تحوّل الوصف من صورة الحرب إلى حرب الصورة حيث حشد الشاعر من الأساليب والأوصاف ما حوّل القصيدة لوحة حربية حماسية ذات منزع ملحمي لما تستند إليه من مبالغة وتهويل.
ـــ يبدو الجيش منصورا بقائده وليس القائد منصورا بجيشه وهي صورة تقتضيها النزعة التكسبية والرؤية الملحمية التي لا تبصر إلا بطلا أوحد ووحيدا تحتجب خلفه كل البطولات والصفات الحربية.
م3: تمازج الهجاء والمدح:
- نهاية المعركة: "تمنّوا –أبصروك- عَمُوا – جسومهم يسقطن-الأرواح تنهزم"

ـــــ نهاية مأساوية ترواح بين جمالية الانتصار وقبح الهزيمة، وتتحول من بلاغة القسَم إلى صورة الجيش المنهزم وفي ذلك بناء لذات سيف الدولة النصّية المفارقة لذاته التاريخيّة وتلك الذات غرائبية مجردة من بعدها الإنساني إذ تحصد الأرواح وتحطم الأجسام.
التأليف: فنيا: - تكثيف الصور الشعرية القائمةعلى جمالية التشبيه والاستعارة من أجل أداء المعاني الحماسية.
- احتكام المتنبي إلى خطة فنية محكمة تحقيقا للتلاحم بين المعاني الحماسية(البطولة- الفروسية- القوة..)
- -تزاوج الإيقاع الحماسي والصور الشعرية في تشكيل الوظيفة الجمالية للمدحية الحماسية.
مضمونيا: - تغني الشاعر بقيم البطولة والقوة الحربية القائمة على الفتك بالأعداء ورفع راية العروبة والإسلام عاليا.
- حضور الأفعال الحربية ذات المضمون الحماسي (مواجهة-صدام- قتل- هزيمة وانتصار)
التقويم: داخليا:- تظافر الوظائف الحماسية في النص : المرجعية والخطابية والجمالية.
- حوّل الشاعر حديثا عرضيا (القسَم) حدثا مركزيا بنى عليه قصديته المدحية في مبالغة وتهويل لشخص الممدوح وتحقير من شأن العدوّ.
- خارجيا: القصيدة نموذج من سيفيات المتنبي الحافلة بالإشادة بالبطولات ولئن غابت فيها ذات أبي الطيب الإنسان فقد حضرت ذاته الشعرية إبداعا وبديعا.

الخاتمة: النتائج: قصيدة المتنبي نموذج حماسي يتداخل فيه التوقع والواقع والحقيقة والخيال احتفالا بالبطل العربي وإقامة لإمارة القلم في مواجهة دولة القسَم الزائف فإذا المتنبي بطل القصيدة في معركة الحروف بدلا من قائد الجيش في ساحة الحروب.
فتح الآفاق: إلى أي مدى تشكلت التجربة الحماسية عند ابن هانئ على م حاكاة هذا النموذج الشعري وتجاوز هذا المرجع الفني؟